التسامح في الديانات السماوية
اليهودية والمسيحية والاسلامية من خلال المدونات

أ.د. مازن صباح عبدالأمير
كلية التربية الجامعة المستنصرية

الملخص:

يشكل التسامح الشرط الأساس لممارسة وتجنب كل أشكال العنف والصراع والتحدي، وهذا يعني إن التسامح ليس أمراً يسهل تحقيقه ، بل هو ممارسة معقدة تنطوي على مطالب متنوعة معرفية وعلمية فالتسامح لا يبق عند حدود تحمل آراء الآخرين ومواقفهم فحسب، وإنما يتطلب قبولهم واحترام آرائهم وتصوراتهم وهذا يعني انه يجب على الفرد أن يخضع لمتطلبات التسامح ومقتضياته بطريقة يشعر فيها الآخر بأنه مقبول ومعترف بوجوده بوصفه كياناً حيوياً في المجتمع وانه معني بضرورة المشاركة في الحياة الاجتماعية . لهذا جاءت الأديان السماوية، لتعمل على تربية الإنسان وإعداده إعدادا صحيحا روحيا وماديا وفكريا، ليصبح هذا الإنسان الركيزة الفعالة في بناء المجتمعات الإنسانية المتقدمة والمتحضرة، لذلك أوصته الأديان بكل ما ينفعه، ونهته عن كل ما يضره .وإذا كانت شعوب العالم تتطلع إلى تحقيق السلام العالمي.

التسامح لغة:

جاءت مفردة التسامح في معاجم اللغة مشتقة من(سمح) سماحا وسماحة: أي بذل في العسر واليسر عن كرم وسخاء، و(سمح)- سماحة- وسموحه: أي لان وسهل فهو سمح سميح، و(سامحه) أي عفا عنه. جاءت كلمة التسامح مشتقة من (سمح)ومنها: (السماح :والسماحة: الجود.. سمح سماحة وسموحاً وسماحا : جاد؛ ورجل سمح وامرأة سمحة من رجال ونساء سماح وسمحاء فيها، ورجل سميح ومسمح ومسماح : سمح ورجال مساميح ، ونساء مساميح ويقال سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء والمسامحة : المساهلة ؛ وتسامحوا ؛ تساهلوا ؛ وتسمح ؛ فعل شيئا فسهل فيه ، وقيل التسميح ؛ السير السهل وسمح لي فلان أي أعطاني ؛ واسمح وسامح ؛ وافقني على المطلوب)(ابن منظور، ١٩٥٥، ص٤٩٠).

التسامح اصطلاحاً:

يدلُ مفهوم التسامح في الاصطلاح على انه ليس فضيلة واحدة بل هو فضيلتان هما: السماحة والمسامحة) وكلاهما أحد أشكال السخاء وينتميان في آخر المطاف الى العفة التي هي من كبرى الفضائل والتي يفترض في السلوك الأخلاقي ان يتمثلها فهي الطريق الى الخير والسعادة اما السماحة فهي : بذل بعض ما لا يجب واما المسامحة فهي :(ترك بعض ما يجب والمجتمع بالإرادة والاختيار) (مسكويه، ١٩٨٢، ص١٢)، وهو" رؤية متفهمة أو متحررة فكريا حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة لعقائد الشخص المتسامح وممارساته(مصطفى مليكان ، ٢٠٠٥، ص ١٣٢).

وعرف أيضا بأنه ((موقف من يقبل وجود لدى الآخرين طرق تفكير وطرق حياة مختلفة عما لديه هو ،وبذلك يصبح مبدا التسامح مبدأ توافقياً ويكون الغرض منه ليس الاخذ بالممنوعات ولكن الوصول الى التوافقات.(عاطف علبي ،٢٠٠٢،ص ٣٠٠) فالتسامح رضا المرء برأيه واعتقاد الصحة فيه، واحترام لرأي الغير كائنا من كان، رجوعا إلى معاملة الناس بما يريد أن يعاملوه به، فهو على يقين لما يراه، لا يقطع بلزوم الخطأ في رأي سواه، وعلى رغبته في تطرق رأيه للأذهان، ولا يمنع الناس من إظهار ما يعتقدون(اسحق ١٩٩٣، ص٢٠٣).

وعليه " فالتسامح هو امتزاج بين الفكر والأخلاق، وتعبير عن موقف فكري من جهة، وموقف أخلاقي من جهة أخرى، موقف فكري يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم والأفكار المغايرة على مستوى النظر، وموقف أخلاقي يحدد طريقة التعامل مع المفاهيم، والأفكار المغايرة على مستوى العمل" (المريل‌اد، ٢٠٠٧، ص٩٨).

أن التسامح موقف إيجابي مستلهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيداً عن التهميش والإقصاء، على أساس شرعية الآخر المختلف دينياً وسياسياً وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته (زيد، ٢٠١٢، ص٥٧).

١ – التسامح في الديانة اليهودية:

السماحة في الدين اليهودي تتضمنها "الوصايا العشرة" التي تكررت في التوراة مرتين في (سفر الخروج) و(سفر التثنية) ووجد في التعاليم اليهودية الإلهية والتي مصدرها الله سبحانه وتعالى التي تعد أُسساً أخلاقية والتوجه الى تشذيب الروح والجسد والكف عن إيذاء

الآخرين والابتعاد عن الفساد في الأرض وتنظيم علاقة الانسان مع أخيه الأنسان، وهذه هي قمة التسامح والتعايش مع الآخر في الحياة الدنيا ومما جاء فيها :

١- (לֹא יִהְיֶה־לְּךָ אֱלֹהִים אֲחֵרִים עַל־פָּנָי) لا يكن لك آلهة اخرى امام وجهي فانا الرب إلهك (سفر التثنية ٥: ٧)

٢- (לֹא־תַעֲשֶׂה לְךָ פֶסֶל, וְכָל־תְּמוּנָה) لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة مما في السماء من فوق، ولا مما في الارض من تحت، ولا مما في الماء من تحت الارض لا تسجد لها، ولا تعبدها لأني أنا الرب إلهك. (سفر الخروج ٢٠: ٤)

٣- لا تحلف بأسم الرب إلهك باطلا ، لان الرب لا يعفو عمن نطق باسمه باطلا. (سفر الخروج ٢٠: ٧)

٤- وجاء في (سفر التثنية ٥: ١١) لا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلًا، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلًا.

٥- (זָכוֹר אֶת יוֹם הַשַּׁבָּת לְקַדְּשׁוֹ) اذكر يوم السبت لتقدسه، في ستة أيام تعمل، وتنجز كل أعمالك، واليوم السابع سبت للرب إلهك. (سفر الخروج ٢٠: ٨)

٦- أكرم أباك وأمك. (سفر التثنية ٥: ١٦)

٦ - لا تقتل.(سفر الخروج ٢٠: ١٣)

٧- لا تزن.(سفر الخروج ٢٠: ١٤)

٨- ولا تسرق.(سفر التثنية ٥: ١٩)

٩- ولا تشهد على قريبك شهادة زور. (سفر التثنية ٥: ٢٠)

١٠- لا تطمع في بيت أحد من قومك " لا تشته زوجة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولاشيء مما يملكه"(سفر الخروج: ٢٠: ١٢-١٧).

فضلا عن تأكيده على مبدأ الحرية ورفض مبدأ العبودية(إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا) (سفر الخروج :٢١: ٢). "كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير (سفر اشعيا ١٦/١-١٧) فهذه الوصية موجهة الى البشر، فهي ما اراد بها التعايش مع الآخر والتسامح معه (سميث ،٢٠٠٧:٣٤٩).

"كل ما تكره ان يفعله غيرك بك ، فاياك ان تفعله انت بغيرك"، "اغتسلوا وتطهروا وازيلوا شر أفكاركم " و" كفوا عن الإساءة ، تعلموا الإحسان والتمسوا الانصاف" . (كريم، ٢٠٠٦:٦).

على الرغم من تلك التعاليم والتوجيهات الدينية والاخلاقية الداعية الى التسامح وقبول الآخر الا انها لم تمنع من اندلاع الحروب المتعاقبة التي شهدتها الديانات السماوية على وجه الخصوص فيما بينها، ومن ادعاء كل فرقة دينية بانها الناجية والاخرى كافرة ومبتدعة وفي ظلال مبين.

وبناء على تحريفاتهم لكتاب التوراة الذي جعل اليهود متعصبين غير متسامحين هي نشوء طبقة من علماء اليهود عرفت بـ(السبورائيم) أي الشارحون الذين تؤكد شروحاتهم على عدم التسامح والتعايش والتأكيد على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض وجعل الناس عبيدا لهم باعتبارهم "شعب الله المختار" وان الله اصطفاهم من دون سواهم من شعوب الأرض، كل هذه سببها مظاهر الانحراف التي كتبها الكهنة بتحريفهم للتوراة وجعلوها تقوم على التفرقة العنصرية وعدم التسامح ولا تدعو الى التعايش، ونظرتها الى الشعوب الاخرى باعتبارها دونهم منزلة في المجتمع الانساني، ووضعت شريعتها على هذا الاساس المتعصب فتبيح لليهودي امتيازات خاصة دون سواه من غير اليهود في حين ان ديانة موسى عليه السلام الاصلية كانت تقوم على أساس التوحيد العالمي المطلق من غير ان تفرق بين الأقوام وتقر باليوم الآخر والبعث والنشور(سوسة، ١٩٨١ :٣٥٧-٣٦٧).

اما التلمود فهو الكتاب العقائدي الذي يحتوي على التعاليم اليهودية وهو وحده الذي يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودي وتعاليمه، وقد الف هذا الكتاب من قبل حاخامات وأحبار اليهود أثناء السبي البابلي لهم (برانايتس ،١٩٩١:٢١) وسمي بالتلمود البابلي (جماره، ومشناة) وقد أضيف إليه وحذف منه على مر الزمن إلا ان التلمود الذي لا يزال العمل قائماً به من قبل اليهود هو التلمود الذي ألفه وجمعه وأضاف اليه وحذف منه ما يواكب زمانه هو تلمود (موسى بن ميمون الذي يعد أول عمل منظم عن القانون اليهودي) فقد لقب باسم (نسر المعبد اليهودي) وكان ذلك في عام (١١٨٠م) والمعروف كذلك (باليد القوية) (برانايتس،١٩٩١:٣٨)

وللتلمود عند اليهود مقاما مقدسا، وعلى هذا الاساس تعد الديانة اليهودية ديانة كهنوتية اذ ان الكهنة هم الذين يقومون بتفسير التوراة ذاتها وهم الواسطة بين اليهود وإلههم (يهوه) وهم الذين ينفذون الشريعة ويوجهون الشعب اليهودي في ممارسة شعائرهم الدينية،

وقد أدى جمعهم الديني الاعلى المسمى بـ (السنهدرين[*]) دورا رئيساً في حياة اليهود الدينية والاجتماعية والسياسية. (سوسة،١٩٨١:٣٣٢)

وبهذا يقول ديورانت في كتابه (عصر الإيمان) ان الربانيين والحاخاميين أخذوا يفسرون التوراة حسب أهوائهم بالشكل الذي يرضي غرائزهم الشريرة ونزوعهم الى الاستعلاء على بقية أجناس البشر (سوسة،١٩٨١،٣٦٧).

ولو نظرنا لكل الديانات السماوية لوجدناها تدعوا الى الصدق ومكارم الاخلاق، ومعاملة الناس بالمعاملة الطيبة لتجتذب أكبر عدد ممكن من الأتباع وتؤكد على مبدأ واحد وهو طريق الكمال وتحجيم الشر وتدعو الى التسامح والعفو والغفران والمحبة والسلام وعلاقة الانسان مع اخيه الانسان وهذا ما اكده القران الكريم: "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ" (سورة المائدة ٤٤).

والديانة اليهودية تدعو إلى التسامح كما ورد في التوراة: (كل ما نكره أن يفعله غيرك بك فإيام ان تفعله أنت بغيرك)". وهي دعوة الى التسامح وعدم ايذاء الاخرين وهذا ما جاء في العهد القديم " وان حصلت اذية تعطى نفسا بنفس وعين بعين وسناً بسن ويدا بيد ورجلاً برجل وكياً بكي وجرحاً بجرح ورضاً برض فمن جرح او كسر او فقأت عينه لا يقتل ويستبيح الدماء" (سفر الخروج ٢١: ٢٣-٢٥) ، ويبدو جلياً ان هذه الايات الصريحة بما انها تدعوا الى التسامح اذا لابد من وجود مناقض لها في المجتمع ولهذه جاءت هذه الايات تدعوا الى التسامح.

٢- التسامح في الديانة المسيحية:

تدعو الديانة المسيحية الى التسامح على لسان نبيها عيسى (عليه السلام) كونه عبدا من عباد الله الصالحين الذين تم اختيارهم لتبليغ رسالة السماء من لدن رب العالمين ومن

---

[*] السنهدرين : هو المجلس العلمي الديني الاعلى عند اليهود ، وهو الذي قام بمحاكمة السيد المسيح (ع) ومن ثم صلبه سنة ٢٩م وكان يتالف من ٧١ عضوا وكلهم من كبار الكهنة والشيوخ وأشهر الحاخاميين (لمزيدمن المعلومات انظر احمد سوسة ،مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ ، ط٥، بغداد ١٩٨١).

أجل تصحيح واستكمال الديانة اليهودية بعدما أصابها التحريف والتزوير (المحلاوي ،٢٠٠٣: ١١٠) ومن دلالاته فيما ورد في وصاياه وتعاليمه لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس أو الانبياء ، ما جئت لانقض بل لأتمم "متي ٥:١٧"(قنواتي،١٩٨٤: ١٣).

وتكشف لفظة التسامح عند المسيحية عن طريق كلمة أخرى هي (الحلم) ففي رسالة بولص الرسول إلى أهل فيلبي يقول: (إن حلمنا يجب أن يكون معروفا لجميع الناس لأن الرب قريب والكلمة الأصلية المترجمة(حلم) هي الكلمة اليونانية (Epieikes) وتعني الروح المستعدة للتسامح والصفح بدلا من تنفيذ العدالة وهذه هي المحبة الكاملة) (عبدالله، ٢٠٠٧، ص١٧).

ولو لاحظنا إن هذه الوصية التي أتى بها سيدنا عيسى (عليه السلام) تدل على عدم التعصب او الكره للذين كانوا من قبله على الرغم من ان الديانة اليهودية كانت تتنبأ بظهور نبي عليهم يخلصهم مما هم فيه من إنحراف وغطرسة وتعالي على الشعوب ، ولو تتبعنا ما هو موجود في الكتب المقدسة لدى المسيحيين لوجدناها تتحدث عن الاخلاق والتسامح حيث ألغت بعض الشرائع التي أتى بها موسى (عليه السلام) ومنها (العين بالعين ، والسن بالسن) بينما دعت الديانة المسيحية "من ضربك على خدك الأيمن فحول له الآخر" (متي ٥:٣٨).

اما عن الاخلاق فقد أكدت المسيحية على العفو ودفع السيئة بالحسنة وتقديم الخير للناس والدعاء لهم بالهداية ، وتقديم العون للمحتاج وفي انجيل متي " إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع مالك واعط الفقراء ، لك كنز في السماء" (الكرماني،٢٠١١: ٨٧).

وللتسامح الديني مكانة في الديانة المسيحية فقد شجعت على الزكاة ومما جاء في انجيل لوقا "بيعوا ما تملكون وتصدقوا ، واتخذوا ، لأنفسكم أكياسا لا تبلى ، وكنزا في السماوات لا يَنفذْ ، حيث لا يقرب سارق ، ولا يبلى سوس، لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضا " (الساموك،٢٠٠٤: ٢٤٠)

ويحث الكتاب المقدس على إعطاء الصدقات بالسر دونما تباهي أمام الناس حتى لا تعد مِنّةْ، والتسامح يعني ليس مِنّةْ أو فضل، وانما عن طيب نفس ورضا ضمير وجاء في "متي ٥:١٧"(اذا تصدقت على أحد فلا تفتح أمامك في السوق كما يفعل المراؤون في المجامع والشوارع ليمدحهم الناس) حيث أوجب إعطاء الصدقة بنية صادقة لله تعالى (ففي الوعظ أو العطاء فليعظ ويعطي بسخاء ، او القيادة فليقد باجتهاد او إظهار الرحمة فليرحم بسرور)،

ويرى الانجيل ان احكام الصدقات في نشر التكافل والألفة بين الناس والتسامح والتعايش مع الآخر" أَعْطُوا تُعْطَوْا، كَيْلًا جَيِّدًا مُلَبَّدًا مَهْزُوزًا فَائِضًا يُعْطُونَ فِي أَحْضَانِكُمْ. لأَنَّهُ بِنَفْسِ الْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ" (إنجيل لوقا ٦: ٣٨).

ومن باب المغفرة سئل السيد المسيح (عليه السلام)(فإن أساء الي أخي أتأمرني أن أغفرله سبعا؟ فقال له :لست أقول لك سبعا ولكن سبعين في سبعة) " (متي ٢١:١٨) "أية موعظة هذه فان الغفران من الله وحده وهي احدى اسس التسامح التي نادى بها الله وأوصى بها انبياءه ورسله ليعلموا بها البشرية (الكرماني،٢٠١١:٩٥).

ركزت الأناجيل المعتمدة لدى النصارى على الأخلاق والتي يفهم منها الغلو والإمعان في المثالية والتسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة وإن جانب المثالية والتسامح هو الأغلب في التوصيات (متي ، اصحاح :٥)(الجعفري ،١٩٩٨:٩٨)

ان أولى الوصايا التي أتى بها المسيح (عليه السلام) هي (إلهنا إله واحد)(أن تحب قريبك حبك لنفسك)" (مرقص ٢٩/١٢)" لقد كانت الديانة المسيحية منذ بدايتها تعلم الحب والتسامح فلأنكم إن أحببتم الذين يحبونكم فأي أجر لكم ، وإن سلمتم على إخوانكم فقط فأي فضل تصنعون ، الحب الحقيقي هو التسامح مع أخطاء أخيك أن لا تبغضه وأن لا تكرهه وان لا تفعل به سوء (الحايك،١٩٦١:١٥٩) .

وكانت موعظة الجبل للسيد المسيح (عليه السلام) لمناوئيه وأتباعه قمة في التسامح ، ومن أهم تعاليمه التي دعاهم لها وكشف لهم عنها، ويجب أن يمتثلوا لها والتي تختلف عن تعاليم الكهنة والحاخامات الذين سبقوه حيث قال في هذه الموعظة الخالدة التي تعد من الوصايا المهة لتعاليمه التي تصب في نهر الأخلاق الحسنة والتسامح والأخاء ومعاملة الناس بالحسنى (المحلاوي، ٢٠٠٣:١١٦) .

- طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات . (إنجيل متى ٥: ٣)
- طوبى للودعاء لأنهم سيرثون الارض .(إنجيل متى ٥: ٥)
- طوبى للجياع والعطاشى الى البر لأنهم يشبعون . (إنجيل متى ٥: ٦)
- طوبى للرحماء لأنهم يرحمون . (إنجيل متى ٥: ٧)
- طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله. (إنجيل متى ٥: ٨)
- طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون . " (إنجيل متى ٥: ٩)

هذه الموعظة التي أتى بها المسيح عليه السلام وعلمها لأتباعه، التي تحث على التسامح والألفة والحب لكي يحصلوا على الآخره ورضا الله وقال (لقد سمعتم إنه قيل ، أحب قريبك وتبغض عدوك) واما انا فاقول لكم (أحبوا اعدائكم باركوا لأعنيكم، أحسنوا الى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ، لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات، فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين) "لوقا "أية نصيحة سمحة هذه موجهة الى قومه تدعو الى التسامح ليس من خوف وانما من باب المحبة والتواضع والابتعاد عن التعصب والقهر والدمار ودعوته الى التآلف والتحابب بين الناس (مظهر، د.ت:٤٠٦).

التسامح الديني مطلب إنساني دعت إليه كافة الأديان دون إستثناء، وهو يجيب على أهم سؤالين تواجههما الإنسانية وهما، أولا، قيم التسامح وأثرها على التعايش؟، وثانيا، موقف الأديان من التسامح؟. حيث قيمة التسامح الديني تتمثل في كونه يقتضي الإحترام المتبادل، والمساواة في الحقوق وإرهاصاً لإقامة مجتمع مدني".(الزواوي،٢٠٠٤:١٦٢).

أما التسامح في المسيحية فقد ورد في الإنجيل على لسان يسوع المسيح: (لقد قيل لكم من قبل ان السن بالسن والأنف بالأنف وانا أقول لكم: لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الأيمن فحول اليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فاعطه أزرارك، ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين. من إستغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان)". أي ان التسامح هو الأهم من الضغينة والغضب وكره الآخرين والعفو عن الآخرين هذه النصوص التي وردت في الكتاب المقدس بدعواه المتضمنة مبادئ التسامح في أحلى صورة ويبدو ان التسامح فوق الطاقة لكن لا غرابة لأن الرب واحد، ومشرع القيم السمحة واحد على الرغم من اختلاف الأديان والأنبياء(كريم ،٢٠٠٦:٣) ، فقد ورد في الانجيل وهو دستور المسيحيين كدين تسامح وسلام (المجد لله في الأعالي ، وعلى الأرض السلام ،وبالناس المسرة) (إنجيل لوقا ٢: ١٤)(وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلًا: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْت(إنجيل لوقا ١٠: ٥) فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلاَمِ يَحُلُّ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلاَّ فَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ.)(إنجيل لوقا ١٠: ٦)

وان مناداة السيد المسيح (عليه السلام) نفسه بوصاياه وتعاليمه التي تخص وتدعو الى التسامح والعفو عند المقدرة والعطف والاخلاص والطهارة والنظافة والايمان هو ما موجود حاليا من تعاليم في الأناجيل المكتوبة، فضلا عن إن تعاليم الأناجيل واحدة »وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا(إنجيل متى ١٨: ١٥).

إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولًا فِي السَّمَاءِ (إنجيل متى ١٨: ١٨) (المحلاوي،٢٠٠٣: ١١٤-١١٨)، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا (إنجيل متى ٥: ٤٠)

مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ. (ولا تدينوا فلا تدانوا ، لا تقضوا على أحد ، فلا يقضى عليكم ، أغفروا يغفر لكم ، أعطوا تعطوا)" لوقا ٦/ ٣٧-٣٨ " (عبد القادر،٢٠٠٦:١٢)

وللتأكيد على ان التسامح لا يفارق السيد المسيح حتى عندما صلبوه فقد همس وهو على الصلب بصوت هامس (فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ (إنجيل لوقا ٢٣: ٣٤).

وكان النجاشي ملك الحبشة يدين بالديانة المسيحية عندما استقبل المسلمين الفارين من ظلم قريش لاجئين بمملكته ورفض تسليمهم الى موفد قريش، وكان من أبرز اللاجئين ابن عم النبي جعفر ابن ابي طالب المعروف بجعفر الطيار فهذه قمة التسامح في الدين، ومثالاً للتسامح عندما استقبل مقوقس مصر رسول الرسول (صلى الله عليه واله واله) وأكرمه ، وبعث بهديته إليه ومنها السيدة مارية القبطية التي اصبحت زوجة لرسولنا الكريم (صلى الله عليه واله) (مظهر، د.ت:٤١٧).

والتسامح الديني عندما أيد مسيحيو نجران دعوة نبينا الكريم وكتب عهداً لهم ، والتسامح عند ورقة ابن نوفل المتكهن بنبوة نبينا (صلى الله عليه واله) وهو مسيحي وقيل انه عاش ومات على المذهب الآيروسي(الخيون، د.ت :١٦١)

وعلى الرغم من ان اصحاب الديانة المسيحية في الغرب وأمريكا ارتبطوا بالعنف وابتعدوا عن التسامح الذي نادى به المسيح سواء بين المسيحيين وغيرهم أم بين المسيحيين أنفسهم الا انه عندما ولدت الجمهورية في بريطانيا على يد كروميل كان أهم شيء فعله هو شق الطريق الى (التسامح الديني) وهذا العمل يعود فضله الى الفيلسوف جون لوك (١٦٣٢م) الذي نشر كتابه (رسالة حول التسامح الديني) (كريم،٢٠٠٦:٤) ذكر لوك في رسالته انه: (ليس من حق أحد ان يقتحم بأسم الدين الحقوق المدنية والأمور الدنيوية) ولذلك

نادى بضرورة الفصل بين الدولة والكنيسة وقد مثلت رسالة لوك في التسامح فكرا جديدا على اوربا المتعصبة في ذلك الوقت(لوك ،١٨:٢٠٠٥).

لقد كان لأسلوب التربية وانتشار الأخلاق الحسنة والعادات الطيبة لدى كل أصحاب الديانة المسيحية الشرقيين أثره الفعال في استمرارهم بالتمسك بما جاء من تعاليم سمحاء بالانجيل وعدم اعترافهم بالماديات وتفضيلهم الروحانيات رغم تواضع مستوى معيشتهم في أغلب البلدان.

٣- التسامح في الديانة الاسلامية:

جاءت الشريعة الاسلامية بكتابها المنزل القرآن الكريم الى تكوين مجتمع فاضل يقوم على أساس الحب والتكافل والاخاء، يضم الأسرة الانسانية كلها عن طريق العقيدة الشاملة والعبادات التي تقوي علاقة الإنسان بربه، وعن طريق الحث على قيم مكارم الأخلاق وإصلاح الأفكار وتطهير النفوس وتنظيم العلاقات التي تضبط حياة المجتمع والبشرية بشكل عام.

ينبغي على المسلمين عامة وعلى العلماء خاصة أن يحرصوا على التسامح فيما بينهم، حتى تجتمع كلمتهم، وتزول الفرقة بينهم، ويزول المنافقون من المجتمع، فقد شبّه رسول الله -صلى الله عليه واله- تعاون المؤمن مع أخيه المؤمن بالبنيان الرفيع المتماسك، ومن مظاهر التسامح بين العباد:[٦]

إنّ التسامح لا يعني أن يكون حقّ الإنسان ضائعاً، ولا أن يكون ضعيفاً، ومستسلماً، وذليلاً، بل هو إنسانٌ قويٌّ، واثقٌ من نفسه، ذو شخصيّةٍ تجمع بين الحزم واللّين كلٌّ في موضعه، وهناك ثلاثة أمورٌ أساسيّة هي بمثابة ضوابط ومقوّمات للتّسامح فالقيم وضوابط السلوك الإنساني، وهي إحكام ومعايير للبناء الاجتماعي الذي ينتمي إليه الإنسان، فالفرد عندما يسلك سلوكا معينا أو يختار من بين بديلات فإنه يختار في ضوء التوجهات القيمة التي يفرضها عليه بناؤه القيمي، كما أن البناء الاجتماعي لأي مجتمع إنساني يتكون من بناء معياري من القيم يحدد هوية المجتمع وشخصيته، ولهذا فان أي اختلال أو اهتزاز في البناء القيمي للفرد أو المجتمع ينعكس على جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، والقيم الأخلاقية توجه سلوك الفرد نحو العادات المقبولة اجتماعيا، وهي تنبؤ بما سيكون عليه الفرد فهي ضرورة لتكوين مجتمع ناجح في المستقبل (علي، ٢٠٠٧: ٣٦٧). وتسمو القيم الدينية في طبيعتها وأهميتها على سائر القيم، لما لها من قدسية مستمدة من صميم الأديان السماوية ولاسيما

الدين الإسلامي الذي ختم الله تعالى به الرسالات الإلهية . ومن يُمعن النظر في الإسلام يجد أن أقسامه الرئيسة ثلاثة هي المبادئ الخلقية، والأحكام العملية والأصول العقائدية فالمبادئ الأخلاقية هي كل ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الصفات التي من شأنها أن ينتج عنها صدور الأعمال الخيرية كالوفاء والأمانة والعدل والإحسان والتواضع والتعاون والعفو والتسامح والتحاب والتآلف(هندي، والغويري، ٢٠٠٨: ٤١٥).

إن رسالة الإسلام في مجموعها رسالة قيمة وأخلاقية تهدف إلى تحقيق سعادة الإنسان في دنياه وآخرته، ولقد حرص الإسلام أن يحض أفراده بالثمار الطبيعية من وراء تمسكهم بالقيم والمبادئ الأخلاقية التي دعاهم إليها (علي، ٢٠٠٧: ٣٦٨).

فقد جاء الإسلام متمثلاً في الرسالة التي جاء بها محمد (صلى الله عليه واله واله) الذي ركز على الأخلاق وتكميلها ولخص رسالته كلها بعبارة جامعة حيث يقول "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (زقزوق، ١٩٨٠: ٣٠) رسالة الإسلام الإنسانية الخالدة بمنهجها العلمي العظيم الذي يطابق بين الدين السماوي والدين الفطري ويضع الإنسان في مواجهة مع نفسه، إذ أتاحت للإنسان مستويات ثلاثة من الأخلاق، الأول: السن بالسن والعين بالعين، الثاني: التسامح، الثالث: هو كل ما يعزز قيم الإصلاح والنصح للمسيء، قال تعالى (وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)(الشورى٤٠) وقد أوصى الرسول العظيم (صلى الله عليه واله واله) أصحابه وأهل بيته الكرام بقوله (اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) فقد حفظ الإسلام كرامة الإنسان حتى حين ارتكابه الجريمة، إذ لا يجوز لأحد أن يُعَيِّره بما فعل، وغاية الإسلام بذلك هي إعادة تأهيل الإنسان المنحرف وليس سحقه وتدميره. كما نجد أن عبادة الحج بمثابة التطهير الأكبر والكامل للإنسان وفرصة له لأن يولد من جديد (الفريجي، ٢٠٠٩: ٣١). يرى " قطب" أن مصدر القيم الأخلاقية هو الله، وأن على الإنسان تلقيها والإفادة منها بل وإتباعها لأن بخلافها ليس سوى الضلال وربما يعني هذا وجود واقعين اثنين ، واقع يحتضن القيم الأخلاقية ويتبعها وآخر لا يتبعها بصرف النظر إن كان يؤمن بها أم لا، ويترتب على هذا فهم جديد إذ تصبح الضرورة هي ضرورة انصياع الواقع للقيم الأخلاقية وإنسيابها في الواقع ويصبح التجاوز الايجابي باتجاه فهم القيم الأخلاقية لتطبيقها في الواقع وهذا يعني إمكانية كبيرة في تنوع التعامل معها بعيداً عن الجمود والتقوقع (المعموري،٢٠١٠: ١١).

وينقل الإسلام بتعاليمه اهتمام الناس من مجرد التأكيد على الجانب المادي الذي يقوم على الأنانية البغيضة إلى تأكيد الجوانب الروحية متمثلة في الحب والإيثار والإخاء والرحمة، يقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله) (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ويتضمن الحث منه على مراعاة هذا الأصل، وأن يكونوا إخوانا متراحمين متحابين متعاطفين، يحب كل منهم للآخر ما يحب لنفسه، ويسعى في ذلك، وأن عليهم مراعاة المصالح الكلية، الجامعة لمصالحهم كلهم، وأن يكونوا على هذا الوصف، فإن البنيان المجموع من أساسات وحيطان محيطة كلية وحيطان تحيط بالمنازل المختصة، وما تتضمنه من سقوف وأبواب ومصالح ومنافع، كل نوع من ذلك لا يقوم بمفرده حتى ينضم بعضها إلى بعض؛ كذلك المسلمون يجب أن يكونوا كذلك، فيراعوا قيام دينهم وشرائعه، وما يقوم ذلك ويقويه، ويزيل موانعه وعوارضه؛ فالفروض العينية يقوم بها كل مكلف، لا يسع مكلفا قادرا تركها أو الإخلال بها، وفروض الكفايات يجعل في كل فرض منها من يقوم به من المسلمين؛ بحيث تحصل بهم الكفاية، ويتم بهم المقصود المطلوب.

والإسلام يهدف من وراء هذه التعاليم الى إقامة مجتمع تسود فيه القيم الخلقية من صدق وعدل وأمانة وتسامح وغيرها، وتبدو الأخلاق متعلقة في كل فروع المعرفة الإسلامية يؤكدها القرآن الكريم والحديث النبوي وتُمكن لها الوصايا والنصائح والآداب العامة وتتغنى بها الأشعار وتمتدحها القصص والأمثال(الطويل، ١٩٧٦: ١٣٦). ولا يوجد من خلال البحث في النصوص الإسلامية مفردة التسامح، وإنما الموجود بعض المفردات الأخرى التي تقترب في المضمون من مفردة التسامح ، ففي النصوص الإسلامية نجد استخدام المفردات الآتية،" المداراة ، الرفق ، السماحة ، اليسر، لتوليف بين الاعتراض والقبول فليس كل ما ترفضه عقلياً أو تناقضه اعتقادياً، تمارس بحقه القطيعة والحرب ، والمطلوب التسامح ، الذي يحتضن في جوهره الاعتراض والقبول في آن واحد، أما الرفق والإيثار والعفو والغفران والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة والأمانة ..مثل قوله تعالى{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }(سورة الأعراف:آية ١٩٩).وحث المؤمنين الالتزام بها وجعلها سمة شخصيتهم الخاصة والعامة وكلها تقتضي الالتزام بمضمون مبدأ التسامح(مسعود،٢٠٠٨: ٤)

الألفاظ التي وردت في القران الكريم الدالة على معنى التسامح هي الغفران وهي ستر الذنوب وعدم كشف عورات المذنبين وهي بذلك من ارفع أخلاق التسامح مكانة وقال ابن منظور الغفور والغفار وهما من أبنية المبالغة ومعناها ، الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا) (النساء١١٠) و العفو هو التجاوز عن الذنب وترك العقاب علية واصله المحو والطمس والله تعالى العفو الغفور(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) (الشورى ٢٥). والصفح: هو ترك التأنيب وهو ابلغ من العفو فقد يغفو ولا يصفح (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ) (المائدة ١٣). وكظم الغيظ وهذا الخلق من ارفع أخلاق التسامح وأعظمها شأنا خصوصا إذا ما جمع مع باقي الأخلاق السمحة الأخرى ويقصد به الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة (العبدالة، ب ت: ٢١-٢٥) قال تعالى: (أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ) (آل عمران ١٨).

ومن خلال هذه الالفاظ القرآنية يتبين ان الشريعة الاسلامية دعت الى اقامة علاقات بين أفراد المجتمع الإنساني تقوم على التعارف والتعاون والعدل والتراحم وتبادل المنافع التي أحلها الله تعالى ، وتقوية الروابط الخيرة الفاضلة التي تسعد بها الإنسانية وترقى ، ولنا في رسول الله (صلى الله علية واله) الاسوة الحسنة فنجدها في سلوكه وعباداته ومعاملاته . (خالد الزواوي ،٢٠٠٤،ص٧٧) .

فالسماحة في الاسلام بدات منذ مولد رسولنا الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم ومعيشته مع أبناء قريش عندما كان يوصف بالصادق الامين وان الله انزله رحمة والرحمة من الله تعني ان تكون ذو منزلة من الله تخاطب البشر باسم الله وقال رسول الله (صلى الله عليه واله) (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله) وقال عليه الصلاة والسلام (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخية ما يحب لنفسه) وان سعادة الناس تتحقق اذا تعاطفت قلوبهم وتسامحت (حسين ،٢١٢:١٩٩٣) ويطالب رسولنا (صلى الله عليه واله) المسلمين بأن يكونوا رحماء (ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء) فتشمل كل الناس القريب والبعيد والمسلم

وغير المسلم والغني والفقير والعالم والجاهل والصحيح والمريض والطفل والشيخ والمرأة (التميمي،٢٠٠٤:٢٨٨).

والاسلام من بين كل الأديان سباقا في الدعوة الى التسامح عندما وجه رسوله (صلى الله عليه واله) بان يدعو (زقزوق،٢٠٠٧:١١٩) الملوك في بلدان العالم بالحسنى الى الاسلام كما في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ "ال عمران ٣:٦٤" وإن كان القرآن الكريم لم يستخدم كلمة التسامح بحد ذاتها الا انها وردت في فيض من الآيات القرآنية بالمعاني التي تعطي المعنى ذاته، وعليه فان التسامح يشكل الاساس في الاسلام (حسن،١٩٦٤:١٥٨؛ البرواري،٢٠١١:٦٦) حيث اننا نجد ذكر احترام الديانات الاخرى وحرية المعتقدات واحترام جميع الاراء في ستة وثلاثين سورة ومائة وخمس وعشرين آية ، فبهذا يعني ان التسامح يمثل الفكرة الاساسية في القرآن والاسلام (الثعالبي،١٩٨٥:٩٨) فمنذ ان اقام النبي (صلى الله عليه واله) في المدينة لم تكن رعيته مقصورة على المؤمنين بالاسلام بل كانت هناك تعددية ونظرة الاسلام الى التعددية ليست نظرة واقع مدان ، بل هي واقع طبيعي على وفق مشيئة الله وإراداته قال تعالى وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)"المائدة :٤٨" .

فقد عايش الإسلام أصنافا شتى من الطوائف والأديان والعقائد والفئات وعايش أهل الكتاب ، وعايش المشركين من عبدة الأوثان ، وعايش جميع الديانات وتركهم بما يدينون به ، ولم يتعرض لهم احد بسوء بل دعا الى العدل معهم(التميمي،٢٠٠٤:٢٨٩) . والإحسان إليهم في المعاشرة والزيارة والتودد والبر والانصاف ولم يكتف التسامح الاسلامي بذلك بل طالب المسلمين بإجارة المشتركين ان استجاروا بهم فقد قال تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) "التوبة:٧".

وهنا لا يكتفِ الاسلام بأن نجير المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الأمن في جوارنا وحسب ، بل يأمرنا بأن نضمن لهم كذلك الحماية والرعاية حتى يصلوا الى المكان الذي

يأمنون فيه غائلة، هذا هو التسامح الذي دعا إليه الإسلام هل يوجد أرحم وأحرص من الإسلام على وحدة تلك القاعدة التي تمنح الحرية والحماية والعدل والرحمة قدر ما تمنح المسلمين من الحقوق العامة فلهم ما لنا وعليهم ما علينا (خريجي،١٩٨٢:٣٤٦) ورسالة الاسلام هي خير ورحمة للبشرية قاطبة ، للموافقين والمخالفين ، للمسلمين وغير المسلمين على حد سواء، وهذا الخير هو عطاء الرب جل جلاله وعطاء الرب يستوي فيه المؤمن والكافر وما كان عطاء ربك محظورا (فتاح،٢٠٠٠:١٢٤).

وإن أية علاقة بين المسلمين وغيرهم مبنية على التسامح والتعارف والتعاون والبر والقسط قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات :١٣)، وما يؤكده الرسول (صلى الله عليه واله) بان الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب وفي حديث يقول (أنا شهيد إن العباد كلهم أخوة) رواه "ابو داود".

وأغلب تأكيدات الإسلام على إحترام الانسان اذ حرم حقوقه المادية كجسده وماله وحقوقه المعنوية كحريته وكرامته واختياره لدينه ، ويرفض الاسلام اضطهاد الناس على أساس دينهم او اعتقادهم بل يوصي أبناءه ان يكونوا المثل الأعلى في الأخلاق والتسامح وحسن التعامل مع الآخرين وحتى لا تحسب تصرفاته غير اللائقة على الإسلام فتشوه سمعته (الصفار ،١٩٩٧:٨٥) كما في قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)(النساء :١).

وما لسماحة الدين الاسلامي حيث انه لم يقتصر على فئة معينة فإن أول من أسلم هو(بلال الحبشي) الذي قال عنه رسول الله ان بلالاً :(أول ثمار الحبشة) وان صهيباً (أول ثمار الروم) والهان (أول ثمار الفرس) وكان عبدا نصرانيا وبهذا فإن الدين الاسلامي لم يكن مقصورا على الجنس العربي (حسن،١٩٦٤:١٦٩) وما يؤكد ذلك كتاب الله (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) (يونس اية: ١٩).

ويمنع الدين الاسلامي المسلمين من أي تصرف مشين او اساءة لشخصية أو معتقد من الديانات الأخرى عندما يدخلون في نقاش أو جدال وخصوصا الكتابية (الزمناكوبي،٢٠١٠: ١٠٧) قال تعالى: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) "العنكبوت : ٤٦.

والاسلام دين إلهي عالمي ختم الله تعالى بشريعته الشرائع السابقة وعلى هذا فانه لم يُعادِ أي دين من الاديان بل أمر بالإيمان بجميع الأنبياء ولم يفرق بين أحد منهم (هاشم،٢٠٠٤: ٤٩٨) قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (البقرة : "١٣٦).

ويؤكد الدين الاسلامي على احترام الديانات السماوية الأخرى على وفق قناعة راسخة فالمسلم يؤمن بجميع الأنبياء والرسالات الإلهية السابقة قال تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ("البقرة : ٢٨٥). (العبادي ،٢٠٠٤: ٧٧٨).

لقد دعا الاسلام الى الهداية بالناس والرفق واللين ورفض الغلظة والخشونة وقسوة الكلام وعنف التوجيه قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) (ال عمران : ١٥٩) وحث على التسامح فيه وعمل على رفع أتباعه الى الكمال الإنساني والتسامح الاخلاقي المتميز(العبادي،٢٠٠٤: ٧٦٣) قال تعالى (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل: ١٢٥) .

والتسامح هو المنظومة الاخلاقية التي شرعها الدين الاسلامي مثل الأمانة والإيثار والعفو والإحسان والمداراة والقول الحسن والألفة، وحث الاسلام على الالتزام بها وجعلها

سمة شخصيتهم الخاصة والعامة على المستويين الفردي والجماعي لكي تفضي الى شيوع حالة من التسامح في المحيط الاجتماعي ، ولذلك نجد ان القرآن يرشدنا الى هذه الحقائق الأساسية (محفوظ،٢٠٠٥:١٨٧) إننا المسلمون يجب أن نأخذ كتاب الله وسنة نبينا محمد (صلى الله عليه واله) منارا نهتدي بهما ونموذجا متفردا عن أمثاله ممن سبقوه من الأنبياء، وكذلك اختلف عن الاخرين من بني بيئته وجلدته فقد كانت له صورة مثالية في قيمه الاخلاقية ومثله الانسانية في التسامح الديني (العمر،٢٠١٢: ١). وللتسامح الاسلامي درجات ومراتب وهي:

١- الدرجة الدنيا من التسامح : وهي أن تدع لمخالفك حرية الاعتقاد ولا تجبره على اعتناق عقيدتك، ولا ترتب عليه عقوبة اذا أبى لذلك .

٢- الدرجة الوسطى من التسامح : وهي أن تدع لمخالفك في الاعتقاد ان يعمل بما تمليه عليه عقيدته من دون أن تضيق عليه بترك أمر يعتقد بوجوبه او يعتقد حرمته.

٣- الدرجة العليا من التسامح : وهي أن لا تطبق على المخالفين فيما يعتقدون صلة في دينهم أو مذهبهم وإن كنت تعتقد أنه حرام في دينك أو مذهبك وهذا ما كان عليه المسلمين مع المخالفين من أهل الذمة إذا أرتفعوا الى الدرجة العليا من التسامح. ومن صور من التسامح عند الرسول محمد صلى الله عليه واله "اذهبوا فأنتم الطلقاء" الروض الأنف في شرح السيرة النبوية (٧/ ٣٤).

هذه اعظم وثيقة للتسامح أطلقها رسول الله "صلى الله عليه واله" يوم فتح مكة، حينما ملك أمر من طردوه وآذوه واتهموه باتهامات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وضيقوا الخناق على كل أتباعه ومناصريه، وبرغم كل ذلك لم يفكر رسولنا الكريم في الانتقام أو الثأر منهم أو حتى رد الإساءة بالإساءة.

ومن مواقف السماحة والعفو في حياته "صلى الله عليه واله" حينما همَّ أعرابي بقتله حين رآه نائمًا تحت ظل شجرة، وقد علَّق سيفه عليها. فعن جابر رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله "صلى الله عليه واله" بذات الرقاع في السنة الرابعة للهجرة ونزل رسول الله "صلى الله عليه واله" تحت شجرة فعلَّق بها سيفه فجاء رجل من المشركين، وسيف رسول الله "صلى الله عليه واله" معلَّق بالشجرة فأخذه، فقال الأعرابي: تخافني؟ قال رسول الله "صلى الله عليه

واله": لا، فقال الأعرابي: فمَن يمنعك مني؟ قال رسول الله "صلى الله عليه واله": الله، فسقط السيف من يد الأعرابي، فأخذ رسول الله "صلى الله عليه واله" السيف فقال للأعرابي: مَن يمنعك مني؟ فقال الأعرابي: كن خير آخذ. فقال "صلى الله عليه واله ": تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا، ولكني أُعاهدك ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى رسول الله "صلى الله عليه واله" سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتكم من عند خير الناس" البخاري ٦/ ٢٣٢.

وفي غزوة أحد شُجت وجنتاه، وكُسرت رباعيته، ودخلت حلقات من المغفر في وجهه - صلى الله عليه واله- فقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) البخاري، الفتح كتاب الأنبياء، باب حديث الغار (٥٩٣/٦) رقم (٣٤٧٧) والجامع الصحيح (٣٤٧٧)، وهذا منتهى الحلم والصفح والصبر منه (صلى الله عليه واله) .

- والرسول(صلى الله عليه واله) يقسم الغنائم فقال له: ذو الخويصرة اعدل يا محمد فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله!! فقال له الرسول - صلى الله عليه واله: (ويلك فمن يعدل إن لم أعدل) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٧٥٥/٢) رقم (١٠٦٤)، وحلم عليه ولم ينتقم منه.

- عن أنس أن النبي - صلى الله عليه واله- أدركه أعرابي فأخذ بردائه فجبذه جبذة شديدة حتى نظر إلى صفحة عنق رسول الله - صلى الله عليه واله - وقد أثرت فيه حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله - صلى الله عليه واله - فضحك وأمر له بعطاء. البخاري الفتح، كتاب الأدب، باب التبسم والضحك (٥١٩/١٠) رقم (٦٠٨٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بفحش وغلظه (٧٣٠/٢-٧٣١) رقم (١٠٥٧).

- وجاءه زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود بالمدينة، جاء يتقاضاه ديناً له على النبي - صلى الله عليه واله - فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وقال مغلظاً القول: (إنكم يا بني عبد المطلب مُطلٌ) فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي - صلى الله عليه واله- يبتسم، وقال - صلى الله عليه واله -: (أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء

وتأمره بحسن التقاضي)، ثم قال: (لقد بقي من أجله ثلاث)، وأمر عمر أن يقضيه ماله، ويزيده عشرين صاعاً لما روّعه، فكان هذا سبب إسلامه فأسلم، وكان قبل ذلك يقول: ما بقي من علامات النبوة إلا عرفته في محمد - صلى الله عليه واله- إلا اثنتين لم أخبرهما، يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شد الجهل إلا حلماً، فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف. رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١/١٠٨-١١٢)، والحاكم في المستدرك وصححه وأقره الذهبي (٣/٦٠٤-٦٠٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٣٩-٢٤٠).

وعن أنس بن مالك قال: (كنت أمشي مع رسول الله "صلى الله عليه واله" وعليه برد نجراني (عباءة) غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة . [أي جذبه جذبة قوية] حتى رأيت صفح عنق رسول الله "صلى الله عليه واله" قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جذبته (تركت الجذبة علامة على عنق الرسول)، فقال: يا محمد أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

وكان رسول الله "صلى الله عليه واله" يجاوره جار يهودي، وكان اليهودي يحاول أن يؤذي الرسول "صلى الله عليه واله"، ولكن لا يستطيع خوفًا من بطش أصحاب النبي "صلى الله عليه واله"، فما كان أمامه إلا الليل والناس جميعاً نيام؛ حيث كان يأخذ الشوك والقاذورات ويرمي بها عند بيت النبي "صلى الله عليه واله"، ولما يستيقظ رسولنا الكريم فيجد هذه القاذورات كان يضحك "صلى الله عليه واله"، ويعرف أن الفاعل جاره اليهودي، فكان نبينا الكريم "صلى الله عليه واله" يزيح القاذورات عن منزله ويعامله برحمة ورفق، ولا يقابل إساءته بالإساءة، ولم يتوقَّف اليهودي عن عادته حتى جاءته حمى خبيثة، فظلَّ ملازمًا الفراش يعتصر ألمًا من الحمى حتى كادت توشك بخلاصه. وبينما كان اليهودي بداره سمع صوت الرسول "صلى الله عليه واله" يضرب الباب يستأذن في الدخول، فأذِن له اليهودي فدخل صلوات الله عليه واله على جاره اليهودي وتمنّى له الشفاء، فسأل اليهودي الرسول "صلى الله عليه واله" وما أدراك يا محمد أني مريض؟؟ فضحك الرسول "صلى الله عليه واله" وقال له: عادتك التي انقطعت (يقصد نبينا الكريم القاذورات التي يرميها اليهودي أمام بابه)، فبكى اليهودي بكاءً حارًا من طيب أخلاق الرسول الكريم "صلى الله عليه واله" وتسامحه، فنطق الشهادتين ودخل في دين الإسلام.

وللتسامح قيمة كبيرة في الاسلام حيث انها تشمل مختلف جوانب الحياة وجميع أشكالها ودعا الى الأخوة البشرية والتسامح مع غير المسلمين والتعامل معهم بروح انسانية عالية بعيدة عن الأهواء والاحقاد وجعل معاملة (اليهود والنصارى) معاملة خاصة ،كونهم اهل دين سماوي وسماهم (اهل الكتاب).

الخاتمة:

التسامح خُلق اجتماعي يدل على سهولة صاحبه وحسن تعامله مع الناس، والتسامح هدى مستمد من نصوص القران الكريم والسنة النبوية، وهو من شيم العظماء يدل على النضج والتعقل والرزانة والحكمة، ولهذا جاءت الشريعة الإسلامية تدعو إلى التسامح وتحض عليه بل وتأمر به، للمحافظة على بناء الأسرة والمجتمع من التصدع وإغلاق الطرق الموصلة إلى الشقاق والخلاف والفرقة، وكان في مقدمة من سلك هذا المنهج رسول الله (صلى الله عليه وآله واقتدى به كل صاحب نفس كبيرة وهمة عالية، احتمالاً للناس وصبراً عليهم وقبول ما تيسر من أخلاقهم وحسن تعاملهم والتغاضي عن هفواتهم فوسعوا الناس بأخلاقهم وحسن تعاملهم وعلى الرغم من أن منظومتنا الثقافية مازالت تحكمها العصبية إلا أننا بحاجة ماسة وضرورية إلى السير نحو مبادئ التسامح والاعتراف بالآخر في ثقافتنا، والتمسك بها لبناء ثقافة ومعرفة تبدأ من الذات وتشترك مع الآخر لتكون هناك جدارة الحاضر والإسهام في صناعة مستقبل الإنسانية جمعاء.

وتركز معظم الدراسات والمؤتمرات والحوارات حول تقارب الأديان والحضارات والثقافات على التسامح الاجتماعي كقيمة إنسانية وتربوية وثقافية يقتضي العمل على تعميمها في سبيل السلام بين الشعوب، لكن ذلك يقتضي إدماج مفهوم التسامح في رؤية إستراتيجية شمولية، لأن التسامح يتلازم مع عناصر أخرى تجسده، وتحقق فاعليته.

Summary:

Tolerance is the basic condition for practicing and avoiding all forms of violence, conflict and challenge, and this means that tolerance is not an easy thing to achieve, but rather a complex practice that involves various cognitive and scientific demands. That the individual must submit to the requirements and requirements of tolerance in a way in which the other feels that he is accepted and recognized for his existence as a vital entity in society and that he is concerned with the need to participate in social life.

That is why the divine religions came to work on raising and preparing man in a correct spiritual, material and intellectual preparation, so that this man would become the effective pillar in building advanced and civilized human societies, so the religions recommended him with everything that benefits him and forbade him from everything that harms him, and if the peoples of the world aspire to achieving world peace.